بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب انحراف الأبناء

معرفة الأسباب جزء من العلاج ، وأسباب العلاج ترجع إلى عوامل متعددة كما يعرف الجميع وقد بحثها المختصون وتناولوا جوانبها التربوية والاقتصادية والسياسية ، وان لم تؤخذ بجدية من قبل المربين والآباء والمؤسسات التربوية ، وأزعم أننا بحاجة إلى مناقشة هذه القضية بشكل آخر مغاير لما درجت عليه العادة من قبل المختصين ، وهي أن نتعامل مع واقع المشكلة اليومي بدلا من اعتماد الحلول الطويلة المدى ، فنتعامل مع أصحاب المشكلة أنفسهم لان أسباب الانحراف المتعلقة بذات وشخصية الابن يمكن التعرف عليها وملاحظتها بيسر بل وعلاجها بسهولة وبوقت اقصر، ومن ثم ندع معالجة الأسباب الكبرى والمتعلقة بالمؤسسات التربوية في المجتمع – ندعها – لعمل جماعي منظم . فنحن أقدر ماديا ومعنويا على حل المشكلات الفرعية الصغيرة ، وفي نفس الوقت نحن نهيئ الأرضية الصلبة للحل الجماعي المنظم . هذا جزء مهم من آلية حل مشكلة الانحراف .

إذا تعالوا بنا نتحدث عن أسباب مشاهدة وبالرغم من بساطتها إلا أنها مؤثرة في حياة الابن والبنت ، لكن ولان المربي (المدرس والأب) غير مدرك لخطورتها فإنه يغفلها ! ولعلي هنا اركز على سببين مهمين واترك غيرها لوقت آخر ، ربما نكون فيه قد تغلبنا عليهما

أول هذه الأسباب : الخطأ في تصحيح الخطأ

وما يتعلق به من أساليب الثواب والعقاب التي يتبعها الأب أو الأم تجاه الأبناء ، فمثلا أخطأ ابنك فحصل على درجات متدنية في تحصيله الدراسي نتيجة لإهماله في المذاكرة ، وأصبحت أمام خطأ وعليك معالجته ، فالحل الضغط بالترغيب والترهيب من اجل أن يذاكر أليس كذلك ؟ فيطرق مسامع الابن في اليوم اكثر من مرة ومن اكثر من مصدر كلمة :ذاكر ..ذاكر وبالفعل يبدأ بالمذاكرة ، لكن المفاجأة سواء للمدرسين أو للآباء عكسية ! لماذا ؟ لأن المسكين أصلا لا يعرف كيف يذاكر ، لا يمتلك مهارة وفن المذاكرة ، علمناه كيف يستقبل المعلومة لكن لم نعلمه كيف يبحث عنها ، وهنا تنشأ المشكلة ويبدأ نفسيا مهيأ للخطأ نتيجة للضعف النفسي الذي يشعر به ، فهو يبذل ويذاكر لكنه لا يفلح ؟ فيردد : أنا غبي أنا لا اصلح للدراسة ، ثم يجد في محيط الزملاء من يحس بنفس الشعور فالعيون تطاردهم في المنزل وفي المدرسة ، من فشل إلى آخر ، فرصة البروز ولفت الانتباه قليلة في هذين المكانين ، لكن يمكن أن نثير انتباه زملائنا بشكل آخر ، نبدأ بالتدخين أولا فننجح ، لا حظوا هنا نجاح ، نخرج من المدرسة وهذا أيضا نجاح ، أستطيع أن أقوم بحركات بهلوانية بالسيارة ... وهكذا ينتقل من نجاح إلى آخر ولكن في الاتجاه المعاكس . النتيجة مروعة لكن لو أن المدرس أو الأب استطاع أن يجلس مع ابنه مرة أو مرتين في بداية السنة أو استعان بمختص - وليس مدرس خصوصي – لكان الأمر مختلفا .

أمر آخر يتصل بإيقاع العقاب على الأبناء ، وتقدير مستوى العقاب وتناسبه مع الفعل الخطأ ، فليس مستغربا أن يؤدي العقاب إلى انحراف الابن ربما لشعوره بالغبن أو الظلم ، أو لان من سماته الشخصية قبول التحدي من أي طرف كان حتى لو كان الأب أو ألام ، وبالتالي فالمربي ربما يفقد في لحظة سلاح العقاب الذي يملكه بسبب استخدامه الخاطئ ، وحتى لا يكون الحديث على عواهنه ، نضرب مثالا : عندما يقوم الابن أو البنت بحمل أكواب الماء أثناء إعداد سفرة الطعام ، كثيرا ما تكون النتيجة سقوط تلك الأوعية وتكسر الزجاج ، الآباء والأمهات ينظرون إلى ذك بأنه خطأ يستحق عليه الطفل العقاب حتى لا يتكرر ، لكن الطفل في داخله يعجب لأنه أراد أن يقدم خدمة وان يساهم في الروح التعاونية داخل المنزل والتي سوف نلومه بشدة على نكرانها عندما يكبر ، فلماذا أعاقب إذا ، فهو يستحق الثواب وليس العقاب ، فروح التعاون هذه تحتاج إلى تنمية من قبلنا ، ولكن حتى لا يتكرر ما حدث علينا تدريبه على تقديم تلك الخدمة ، وتوزيعها أيضا (أي تقسيم العمل) على المتعاونين بشكل يتناسب مع القدرات فبدلا أن يحمل الأكواب ، نقول إن مسئوليتك هذا الأسبوع أو على الدوام إحضار مجموعة الملاعق مثلا ،

بسم الله الرحمن الرحيم

والآخر استدعاء أفراد الأسرة لتناول الغداء وهكذا ... ! وقس على ذلك أشياء كثيرة وتفكر في أثره التربوي داخل الأسرة وخاصة العلاقات وروح التعاون واحترام الآخرين .

ثانيا :الزاد التربوي لدى الآباء والأمهات

هل الشاب والشابة المتزوجان حديثا ، هل هما مهيئان تربويا واجتماعيا ، من اجل بناء هذه المؤسسة الكبيرة في أهدافها والصغيرة في أعدادها ؟

عندما علمناهما المناخ والسطح في أمريكا الجنوبية ، هل قدمنا لهما الزاد العلمي والخبرة في العلاقة بين الزوجين الخاصة والعامة ، والعلاقة بين أسرتهم الصغيرة والأسر من حولهم ، هل وضحنا لهم علاقة مؤسستهم الصغيرة بالمؤسسات التربوية الأخرى في المجتمع مثل المدرسة والمسجد والإعلام ، هل لدى هذين الشخصين الغريبين عن بعضهما أساسيات في تربية ورعاية ووقاية الأبناء في شتى مراحل نموهم العمري ، ستجيب أنت وأنا وآخرون بـ : كل ذلك لم يحدث ! لماذا ؟ لأننا تركنا ذلك لخبرة الطرفين المتواضعة جدا والمبنية على المحاولة والخطأ واستشارات المغفلين والفارغين وخيالات الكتاب والممثلين ! إذا ما ذا تريد من أبناء يشاهدون هذا التآلف العجيب !

يحدث خلاف يتحول إلى مبارزة بين الأبويين يصل وبسهولة إلى الطلاق ، أو يشاهد الابناء علاقة قائمة على الخسارة الدائمة لطرف على حساب طرف آخر ، فالام مثلا أو الاب يخسر كل سلطة في مقابل ربح الطرف الآخر على الدوام . هي طلبت بصلا احمر لكنه احضر بصلا ابيض!! وغير قادرين على التفريق في التربية بين طفل في الثالثة ومراهق في السادسة عشرة . أليس هذا الجو الأسرى هنا يقيم قنطرة نحو الانحراف .

إن الأبناء ليسو صورة سلوكية طبق الأصل لبعضهم البعض ، وبالتالي الميول تختلف والاستعداد للتربية وأساليبها يختلف ، فابنك عاصم مثلا يتقبل الحوار والمكاشفة لكن أخته سمية ذات السابعة عشر ربيعا تتقبل التلميحات والإشارات وتعتقد أن هذه الوسيلة تنمي شخصيتها وثقتها بنفسها .

فالوسيلة التربوية تختلف ، وطريقة تصحيح الخطأ تتباين ، كل حسب عمره ووفقا لسمات شخصيته .لكن لابد من الإشارة إلى أن التفريق في الطرق التربوية لا يعني التفرقة في السلوك الوجداني الظاهري للأبوين تجاه الأبناء ، فهنا مخاطرة يجب أن لا تحدث .

صدق أو لا تصدق أن الابن أو البنت الراشدة تحتاج منك إلى أن تمد لها إصبع من الشكولاته بنفس الرغبة التي تجده عند طفلك الغير مميز ، فالمدلول يختلف ، وجرب وستجد الأثر .

بالإضافة إلى ما سبق طرحه من علاج للنقطة السابق والذي ورد في ثنايا الحديث ، نحن مدعوين إلى أن يوجد في المجتمع رأي عام ورغبة أكيدة بضرورة تهيئة الأبناء لدور الزوجية ، وان يبادر أهل الخبرة والاختصاص إلى عقد الندوات والدورات واللقاءات حول هذا الأمر قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، وأن نربط منهج المدرسة بما نريد ويريد أبناؤنا فنسد حاجاتنا ونحل مشكلاتنا .

وان تهتم الأم بتعليم ابنتها ، وتدريبها على العلاقة الزوجية قبل أن تجوب بها الأسواق بحثا عن فساتين الفرح ، وعلى الأب المحترم أن يقدم للابن سمات وشروط الرجولة الحقه المبنية على العلم بحق الله وحق العبيد الذي أمر به الله سبحانه، فليست الرجولة تسلط ولا هروب من المسؤولية ، وأن إعداد المخطط الإنشائي والتصميم الداخلي للعلاقات الزوجية ، واستشارة مهندسي العلاقات الأسرية أولى وأهم وأدوم (وأجدى اقتصاديا) من الاهتمام ببناء العش أو الزنك أو البيت الإسمنتي للزوجية .

عبد الله بن حمد العباد
قسم التربية ورياض الأطفال بجامعة الملك سعود